شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / منبر الجمعة / الخطب / عقيدة وتوحيد / التوحيد / في آيات الله

القمر آية من آيات الله



د. مراد باخريصة

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 31/1/2012 ميلادي - 7/3/1433 هجري

الزيارات: 158826

القمر آية من آيات الله

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى سورة كاملة في كتابه العظيم سماها سورة القمر بدأها بمطلع باهر وبداية مثيرة بذكر آية عظيمة من آيات الله ألا وهي انشقاق القمر فقال سبحانه وتعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: 1، 2] وذكر في كثير من آياتها نماذج ممن كذب بالقرآن وجحد بآياته وكرر الإنذار والوعيد والتهديد لهم بقوله ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴾ [القمر: 17، 18].

لقد قرن الله جل جلاله في بداية هذه السورة العظيمة بين اقتراب الساعة وانشقاق القمر ليوحي لنا بأن انشقاق القمر ووقوع هذه الآية العظيمة دليل على اقتراب الساعة وبداية النهاية لهذه الحياة.

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنهما أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما وفي رواية الترمذي قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة شقين فنزلت ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر: 1].

لقد كان كفار مكة يظنون أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يضع المعجزات ويأتي بها وليس الله فأرادوا أن يتحدوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا نطلب منه آية سماوية فاتفقوا على انشقاق القمر وتواعدوا معه على ليلة من الليالي فلما جاء الميعاد قال الرسول صلى الله عليه وسلم أنظروا فنظروا جميعاً فانشق القمر شقين نزلت كل واحدة لوحدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم " اشهدوا" فقالوا لقد سحر الأرض والسماء إن هذا سحر مستمر فقال الله﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: 1، 2].

عباد الله:

إن القمر آية عظيمة من آيات الله فهذا الكوكب العظيم بحجمه وشكله ونوره ومنازله ودورته وآثاره في الحياة وقيامه في الفضاء بلا عمد يدل دلالة بليغة على عظمة الخالق جل جلاله وعز كماله وان لهذا الكون إلهاً عظيماً قوياً قديراً له صفات الكمال والجمال فهذا النظام البديع للقمر والحركة المتزنة له والدقة الكاملة المتكاملة لبزوغه وطلوعه والمنازل المتنوعة والمراحل المختلفة التي يمر بها في كل ليلة من لياليه يبدأ هلالاً وليداً حتى يصير بدراً منيراً وقمراً متكاملاً وما ينشأ عنه من ظواهر الليل والنهار والشروق والغروب والخسوف والكسوف كل هذا وغيره فيه من الدلائل الربانية والمعجزات الإلهية ما يدهش العقول ويحير الألباب ويوجب التأمل يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: 29] ويقول ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: 37] ويقول سبحانه ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ [الانشقاق: 18].

لقد ذكر الله القمر في ثمان وعشرين موضعاً من القرآن الكريم منها إحدى عشرة آية تحدثت عن خلق الشمس والقمر وسجودهما لله وتسخيرهما في خدمة خلق الله واعتبارهما آيتين من آيات الله و ثلاث آيات تحدثت عن منازل القمر وأطواره ومراحله و آيتان تصفان الشمس والقمر بأنهما حسبانا أي وسيلة لحساب الزمان وآيتان تذكران الفرق بينهما بأن الشمس ضياء والقمر نورا وآيتان يقسم الله فيهما بالقمر ﴿ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴾ [المدثر: 32] ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ [الشمس: 2] وآيتان تتحدثان عن نهاية القمر ﴿ وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ [القيامة: 8، 9] و آية واحدة تثبت معجزة انشقاق القمر و آية أخرى تشير إلى دوران كل من الشمس والقمر ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: 40] وهناك آيتان تصفان القمر في رؤيتين لنبيين من أنبياء الله عليهما السلام إحداهما في حال اليقظة لنبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ [الأنعام: 77] والأخرى في حال المنام لنبي الله يوسف عليه السلام ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: 4].

إن تكرار ذكر القمر في القرآن الكريم واعتباره آية من آيات الله فيه إشارة عظيمة على وجوب التفكر والتأمل في هذا الكوكب الدري الذي يأخذ نوره من أشعة الشمس ثم يعود فيعكس هذا النور على الأرض يقول الله سبحانه وتعالى﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: 5] فالضياء الذي ذكره الله عن الشمس هو النور الذي فيه إشراق وإحراق وأما النور الذي وصف به القمر فهو النور المحض الذي هو إشراق بغير إحراق ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾ [يونس: 5] فسبحان من خلق هذه الكواكب فسواها وأحكم صنعها وسيرها وحركتها ثم ذكر الله جل جلاله وعز كماله في هذه الآية أنه جعل القمر منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وفي آية أخرى يقول الله ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [الأنعام: 96] يقول بن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية :والشمس والقمر حسباناً أي يجريان بحساب مقنن مقدر لا يتغير ولا يضطرب بل لكل منهما منازل يسلكها في الصيف والشتاء فيترتب على ذلك اختلاف الليل والنهار طولاً وقصراً " ويقول السعدي رحمه الله" والشمس والقمر حسباناً ، بهما تعرف الأزمنة والأوقات فتنضبط بذلك أوقات العبادات وآجال المعاملات ويعرف بها مدة ما مضى من الأوقات ."

وفي سورة الإسراء يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: 12] يقول بن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: "كان القمر يضيء كما تضيء الشمس وهو آية الليل، فمحي ..." روح المعاني للألوسي [15/26].

لقد اكتشف علماء الفلك هذه الحقيقة في هذه العصور المتأخرة ولكن الله جل جلاله أخبرنا عنها قبل أربعة عشر قرنا ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء: 12].

ومن آيات الله الباهرة في الشمس والقمر ما يجريه الله عليهما من الخسوف والكسوف وهو ذهاب ضوئهما وزوال جمالهما وبهائهما مما يبين لنا أن هذه الكواكب العظيمة هي مخلوقة مدبرة مأمورة مسخرة يحكم الله فيها بما يشاء ويقضي فيها بما يريد ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: 33] ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: 33].

ثم يوم القيامة يخسف الله بالقمر فيذهب ضوءه كله ولا يعود كما يعود إذا خسف في الدنيا وتُجمع الشمس والقمر فلا يكون هناك تعاقب لليل والنهار وهنا تنتهي الحياة الدنيوية وتبدأ الحياة الأخروية يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴾ [القيامة: 5 - 12].

الخطبة الثانية

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام: 1] خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون والصلاة والسلام على رسول الله من اصطفاه ربه واجتباه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: 54] ويقول ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ [نوح: 15، 16].

فالليل والنهار والشمس والقمر آيات عظيمة باهرة تدل على رب عظيم وإله قوي قدير عليم.

من نظر فيها وجد دقة متكاملة ونظاماً تاماً وحركة عجيبة وتوافقاً غريباً فتبارك الله رب العالمين وتبارك الله أحسن الخالقين﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [الفرقان: 61، 62].

يقول سبحانه وتعالى مبيناً فضله على عباده بهذين النيرين المشرقين:﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص: 71 - 73].

يقول النبي صلى الله عليه وسلم "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده".

فأوصي نفسي وإياكم بالتأمل والتفكر في هذه المخلوقات العظيمة والكواكب المنيرة وإمعان النظر في الآيات القرآنية التي تحدثت عنها في كثير من السور.

البريد الإلكتروني:

morad1429@hotmail.com
